ضَابِطَةُ المُقَارَنَةِ بَيْنَ عَطَاءَاتِ الْقُرْآنِ المَعْرِفِيَّةِ وَمُكْتَسَبَاتِ العُلومِ الْبَشَرِيَّةِ

د. كاظم قاضي زادة
جامعة القرآن والحديث- طهران

د. طاهر الغرباوي
جامعة المصطفى العالمية -طهران

فحوى البحث

بما أنَّ القرآن الكريم هو الفرقان الذي يميِّز به بين الحق والباطل، و الفيصل الذي يفصل الصواب من الخطأ، كان من الضروري عرض مكتسبات العلوم البشرية الطبيعية منها والإنسانية، على كتاب اللّه العزيز و المقارنة بين عطاءات القرآن المعرفية وتلك العلوم. وذلك من أجل تقييم تلك العلوم من جهة، والإستعانة بها كقواعد وقرائن معرفية لفهم القرآن من جهة أُخرى. وحل التعارض البدائي الذي قد يُتصور بين القرآن والعلوم البشرية من جهة ثالثة. وهذا يتوقف على وجود ضابطة للقيام بتلك المقارنة، ومن هنا حاول هذا البحث بعد تبيين ماهية العلوم وموقف القرآن منها، حاول القيام بتلك المهمة، فتوصل إلى أنَّ: التعارض يصدق في صورة تضارب القرآن الحقيقي من ظهور قطعي أو نصٍ صريح من جهة، والحقيقة العلميّة، من جهة اخرى وهذا ما لايمكن أن يحصل، لأنَّ قطعي العلم هو اليقين بالمعنى الخاص، واليقين من مصاديق الحق كما أنَّ القرآن الكريم حقٌ من عند الله تعالى، والحق لا يمكن أن يتعارض مع الحق.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيدٌ:

مهمة القرآن الكريم الأساسية وغايته القصوى هي هداية الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة: ١٥ -١٦] و قد وصف اللهّ تعالى كتابَه العزيز بأنّه يهدي للتي هي أقوم، وفي إتباع دعوته تتحقق الحياة الحقيقية.

ومن أجل تأمين مهمة الهداية، ضمَّن اللهُ تعالى -بمقتضى حكمته -كتابَه العزيز بما يلزم لهذه الهداية على تفاوت العقول والطبائع والأفهام واختلافها، ضمَّنه آياتٍ بيِّنات، ففي كتاب اللهّ الحكيم والمعجز، الوعد والوعيد، والتذكير والتهديد، والقصص والأمثال، والعبَر والمواعظ، والأحكام والآداب، وغير ذلك من أدوات الهداية والدعوة إلى اللهّ تعالى، من أجل معرفته ثم عبادته، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

كما أنَّ هذا الكتاب الحكيم لم ينزل لتنفيذ تعاليمه لزمن محدود بوقت نزوله، بل إنّه الكتاب الحي الذي يجري كما يجري الليل والنهار، ويجري كما تجري الشمس والقمر[1]، وهو مصدر الهداية الذي يجب أن يحكم تصرفات الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فتعاليمه مناسبة لكل زمان ومكان، وما ذاك إلّا لمعرفة من أنزله على قلب نبيِّه ﷺ، بخلق الإنسان وعلمه بما يُصلحه وبما يُفسده.

والقرآن الكريم حينما يدعو إلى الله تعالى والإيمان به والإقرار بوجوده وبصفاته العُليا، والوقوف على آثار قدرته وعظمته، لم يترك الإنسان في حيرة من أمره،

(١) الكليني، الكافي. ج ١. ص١٩٢.

بل أرشده وهداه إلى الآيات والوسائل التي يستعين بها للوصول لهذه الغاية الأُم، ولعلَّ من أهمِّ الوسائل والأدوات التي نصبها الله تعالى للناس للتفكر والتأمل للوصول إليه والإرساء على ساحل بحر عظمته، هي: دعوة الإنسان إلى النظر والتأمل في آياته في الكون والتدبّر في مخلوقاته.

نعم، يدعو القرآن الكريم في كثير من آياته الى التفكر في الآيات السماوية، والنجوم المضيئة، والاختلافات العجيبة في أوضاعها، والنظام المتقن الذي تسير عليه. ويدعو الى التفكر في خلق الأرض والبحار والجبال والأودية وما في بطون الأرض من العجائب، واختلاف الليل والنهار وتبدل الفصول السنوية. ويدعو إلى التفكر في عجائب النبات والنظام الذي يسير عليه، وفي خلق الحيوانات وآثارها وما يظهر منها في الحياة.

ويدعو إلى التفكر في خلق الانسان نفسه والأسرار المودعة فيه، بل يدعو إلى التفكر في النفس وأسرارها الباطنية وارتباطها بالملكوت الأعلى. كما يدعو إلى السير في أقطار الأرض والتفكر في آثار الماضين، والفحص في أحوال الشعوب والجوامع البشرية وما كان لهم من القصص والتواريخ والعبر.

وبهذه الطريقة الخاصة يدعو الى تعلم العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والأدبية وسائر العلوم التي يمكن أن يصل اليها الفكر الإنساني، يحث على تعلمها لنفع الإنسانية واسعاد القوافل البشرية. نعم، يدعو القرآن إلى هذه العلوم شريطة أن تكون سبيلاً لمعرفة الحق والحقيقة، ومرآة لمعرفة الكون التي في مقدمتها معرفة الله تعالى[٢].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا

(٢) الطباطبائي، القرآن في الإسلام. ص ١٤١.

تُبْصِرُونَ ﴾[سورة الذاريات: ٢٠ -٢١]

وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[سورة الرعد: ٣ -٤].

ونتيجة هذه الآيات المباركة، تكوَّنت مجموعة كبيرة من آيات كتاب اللهّ العزيز، صُنِّفت بأنها الآيات العلمية في القرآن الكريم، بجنب الآيات الأخرى التي كلُّها تصب في هدف واحد، هو تحقيق الهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن اللهّ. وقد اهتم عددٌ من المفسرين بهذه الآيات وتفسيرها، حيث كانت أولويتُهم كشفَ الغموض عن دلالتها والوصول إلى معارف القرآن من خلالها، ومن هنا نتج الإتّجاه العلمي في تفسير القرآن الكريم، الذي هو أحد أهم اتّجاهات التفسير الإجتهادي العقلي، بجنب الإتّجاهات الأخرى: كالإتجاه الأدبي والإتجاه الفقهي والإتجاه الكلامي والإتجاهى العرفاني وغير ذلك. هذا من جانب.

ومن جانب آخر فقد استعان عددٌ من المفسرين بمكتسبات العلوم البشرية على تفسير آيات كتاب العزيز، فكما استفادوا من مصدر النقل (الأثر) من آيات القرآن نفسه، والمروي المعتبر في السنة المطهرة، وكذلك مصدر العقل الفطري والبرهاني، على الوصول إلى معاني النص القرآني، كذلك استفادوا من مصدر العلم على تحقيق مهمة التفسير الخطيرة، هذان جانبان، ومن جانب ثالث فإنَّ الحياة تسير والعقل البشري ينمو ويتطور، وكلما تقدمت الحياة اكتشف الإنسان أموراً جديدة في نظام الكون، وهذه المكتسبات كلّها آيات اللهّ وتدل على وجوده وكمال صفاته، لأنّها نتاج العقل الذي هو خلق اللهّ وحجته الباطنية بجنب حجته الظاهرية من الأنبياء والرسل والأئمةﷺ جميعاً.

قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ

﴿ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[سورة فصلت: ٥٣] وبما أن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد ومعجزته الحيّة على طول الزمان واتّساع المكان، فلابد أن تُعرض هذه المكتشفات البشرية على كتاب الله الفيصل، والفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، والميزان والمعيار الذي يعرف الصحيح من السقيم من خلاله، وبعبارة أخرى تصبح ضرورة المقارنة بين كتاب الله العزيز ومكتسبات العلم البشري، أو بالأحرى عرض المكتسبات البشرية على كتاب الله العزيز- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل العزيز الحميد -لتقييمها، تصبح ضرورة مُلحّة. وبعد ذلك كلِّه فإن القرآن الكريم هو كتاب العلم والمعرفة، دعا إلى العلم والتعلّم، مدح العلماء وقرنهم بنفسه حيث قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[سورة آل عمران: ١٨].

وحصر خشيته بالعلماء حيث قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [سورة فاطر: ٢٨] وجعل العلم حجة معرفته فقال جلَّ وعلا: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[سورة محمد: ١٩] كما أمر باتّباع العلم وحصر الحجية فيه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[سورة الإسراء: ٣٦] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[سورة يونس: ٣٦].

هذه الأمور وغيرها من جوانب متعددة تتعلق بعلاقة القرآن الكريم بالعلم والعلم بالقرآن الكريم، نحاول بحثها ودراستها -ان شاء الله تعالى -من خلال هذا البحث ضمن نقاط ستٍّ.

الأولى: علاقة القرآن بالعلوم:

مفهوم العلم وأقسامه:

معنى مفردة العلم في اللغة العربية وفي الفهم العام هي من الواضحات، إذ هو ما يقابل الجهل، ويرادفه المعرفة واليقين والإنكشاف والدراية وما شابه ذلك، وإنْ تفاوتت معاني هذه المفردات في التحليل

التخصصي عند مختلف العلوم. وأمّا في الإصطلاح فله عدة اطلاقات:

الأول: عُرِّف العلم في اصطلاح الأخبار المروية عن المعصومين بأنّه: نورٌ يقذفه الله تعالى في قلب من يريد اللهُ تعالى هدايتَه. ففي الخبر المروي عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: ((ليس العلم بالتعلّم، انّما هو نورٌ يقع في قلب من يريد اللهُ تبارك وتعالى أن يهديه)).

الثاني: العلم في اصطلاح الحكمة (عند المناطقة) فهو: حضور صورة الشئ عند العقل[٣]، أو انطباع صور الأشياء في الذهن، وينقسم عندهم إلى تصور وتصديق[٤].

الثالث: وفي اصطلاح الحكمة أيضاً (عند الفلاسفة والمتكلمين كذلك) له عدة تعاريف: منها: أنّه الإعتقاد اليقين المطابق للواقع، ويقابله الجهل البسيط والجهل المركب. ولعله هذا هو المراد بقولهم: إنَّ العلم هو معرفة الشئ على ما هو عليه[٥]. وقالوا: إنَّ الفرق بين العلم واليقين: أنَّ اليقين هو العلم بالشئ بعد النظر والإستدلال، ولذلك لا يوصف الله باليقين[٦]. ومنها: إنَّ العلم هو: مجموعة قضايا تجمعها مناسبة جامعة بينها، وقد تكون قضايا شخصية وخاصّة، ويشمل هذا التعريف علوماً مثل: علم التاريخ، علم الجغرافيا، علم الرجال وأمثال ذلك[٧]. ومنها أيضاً عند الفلاسفة: إنَّ العلم هو: مجموعة قضايا كليّة وحقيقية (غير اعتبارية) يجمعها محورٌ واحد وخاص، وفي هذا التعريف تدخل كل العلوم النظرية والعمليّة مثل الإلهيات وعلوم ماوراء الطبيعة، وبناء عليه لا تدخل القضايا الشخصية ولا الإعتبارية[٨]. ومنها: (وهو تعريف المتكلمين) هو الإعتقاد الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل.

الرابع: عند علماء أصول الفقه العلم

(٣) المظفر، المنطق. ص ١٥.
(٤) المرجع السابق.
(٥) الباقلاني، تمهيد الأوائل. ص ٢٥.
(٦) الجرجاني، التعريفات. ص ٥٩.
(٧) مصباح اليزدي، تعليم الفلسفة. ص٦٣-٦٤.
(٨) المرجع السابق.

هو: مجموعة المسائل التي يجمعها هدفٌ واحد، والمسائل عبارة عن جملة من قضايا متشتتة جمعها اشتراكها في الداخل في الغرض الذي لأجله دُوِّن هذا العلم[٩].

ولذا يكون تمايز العلوم عند بعضهم، إنّما هو بإختلاف الأغراض الداعية إلى التدوين (تدوين ذلك العلم) لا الموضوعات ولا المحمولات[١٠].

الخامس: العلم عند الماديّين هو: مجموعة القضايا الحقيقية التي تثبت عن طريق الحس والتجربة فقط، وعليه فان العلوم غير التجريبية لا تُعد علماً عند هؤلاء، فالعلوم التي موضوعها ما واراء الطبيعة لا تدخل عندهم في مفهوم العلم.

ومن هنا يفرِّق هؤلاء بين العلم والفلسفة ويرون النسبة بينهما نسبة تقابل[١١].

وأمّا أقسام العلوم: كان العلم في المصطلح القديم هو: كل اكتشاف للواقع، والنظرة الكونية التي تحصل عن طريق: التجربة والوحي والتفكر، فيشمل: العلوم الإلهية والحسيّة والإجتماعية والأخلاقية والقانونية[١٢].

ولكن في العصر الحديث فإن مصطلح العلم انحصر بـ: اكتشاف قوانين الطبيعة على أساس التجربة والمشاهدة الحسيّة[١٣].

وهناك عدة تقسيمات للعلوم، فتارة تُقسَّم العلوم على أساس أهدافها، وتارة تقسَّم على أساس مناهجها، وتارة على أساس مواضيعها. وبناءً على معيار موضوع العلم تكون الأقسام الرئيسة للعلوم هي:

١. **العلوم الرياضية**.
٢. **العلوم الطبيعية**.
٣. **العلوم الإنسانية**.

وأمّا على أساس المنهج فقد قسموا العلوم، على:

العلوم التجريبية، وهي تشمل قسمين من العلوم، هي:

أ. العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وعلم البيئة وأمثال ذلك.

(٩) الخراساني، كفاية الأصول. ص ٢٢.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) الرضائي الأصفهاني، درآمدي بر تفسير علمي قرآن بالفارسية، (مدخل إلى التفسير العلمي). ص ١٥٢.
(١٢) المرجع السابق. ص ١٥٣.
(١٣) المرجع السابق.

ب. العلوم الإنسانيـــــة، وهي تشمل:

١. علم الإجتماع الإقتصاد والإدراة وأمثال ذلك.

٢. العلوم العقلية، كالمنطق والفلسفة.

٣. العلوم النقلية: كعلم التاريخ واللغات.

٤. والعلوم الشهوديــة: التي تحصل من خلال العلم الحضوري لا الإكتسابي، كعلوم الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعُرفاء.

وهناك تقسيمات أُخرى للعلوم بعدة لحاظات.

وبعد بيان هذا كلّه نؤكد: إنَّ المراد بالمقارنة هنا، هي المقارنة بين عطاءات القرآن المعرفية والعلوم التجريبية، والتي تشمل العلوم الطبيعيّة والعلوم الإنسانيّة. وإنْ كان عرض كل العلوم على القرآن الكريم من أجل معرفة صحتها من سقمها هي ثابتة عقلية ودينية، لأنَّ القرآن الكريم هو الفرقان الذي يميِّز به بين الحق والباطل، وهو الكلام الفصل الذي يفصل الصواب من الخطأ، في العلوم التجريبية وغيرها من العلوم.

الثانية: العلم في مفهوم القرآن:

عظَّـــم القرآن الكريم مكانةَ العلم تعظيماً لم يسبق له مثيل في الكتب السماوية الاخرى، ويكفي أنّه نعت العصر العربي قبل الاسلام، بـ «الجاهلية». وفي القرآن الكريم المئات من الآيات يذكر الله تعالى فيها العلم والمعرفــة، وفي اكثرها ذكرت جلالة العلــم ورفيع منزلته(١٤). قال اللهّ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[سورة المجادلة: ١١] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[سورة الزمر: ٩].

والعلم الذي دعا إليه القرآن الكريم هو كل علم ينتفع به الإنســان في حياته الدنيا وحياته الأخرى الخالدة، وبالدرجة الأولى هو ذلك العلــم الذي يفتقر إليه الناس لتصحيح اعتقادهـــم وعباداتهم، ومعاملاتهم وعلاقاتهــم مع الله والناس

(١٤). الطباطبائي، القرآن في الإسلام. ص ٢٩.

والطبيعة، وقد اشار النبيﷺ إلى ذلك بقوله: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))[١٥] وهو العلم الذي قال عنهﷺ أيضاً: ((خير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والاخرة مع الجهل))[١٦].

ويمكن تحديد العلوم التي دعا إليها القرآن الكريم، واعتبرها علوماً في مفهومه، بالأنواع التالية:

النوع الأول: العلوم المبنيَّة على مُسلمات البداهة والفطرة التي فطر اللهّ الناس عليها، وكذلك العلوم الحاصلة من مُدركات العقل وأحكامه القطعية، والمبتنية على قدرته (أي العقل) على إثبات الحقائق بالبرهان والدليل القاطع، ومصاديقها كثيرة: ومنها: الإعتقاد الجازم بحتمية وجود الخالق ووحدانيته وأبديته وعدم تناهي كماله المطلق، وقد أرشدت كثيرٌ من آيات القرآن الكريم إلى هذا النوع من العلم، كقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨].

وكذلك دلَّ على ذلك مثل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران: ٧][١٧].

النوع الثاني: من العلوم في المفهوم القرآني والتي دعا إليها، هي: العلوم المبنيّة على التجارب الحسية البشرية في الطبيعة ومشاهدها، والحاصلة بسببها، لأنَّ الله تعالى دعا في كتابه المحكم وعلى لسان هُداة خلقه إلى النظر والتأمل في كل ما خلق الله، واستخلاص العبَر وقوانين التكوين، كما أجاز تسخير الطبيعة في ضوء تلك القوانين، ولعلَّ العلماء الذين مدحهم الله تعالى وحصر خشيته فيهم، هُم هؤلاء الذين وصلوا إلى معرفة عظمة الله بواسطة

(١٥) البخاري، الصحيح. كتاب العلم. باب من يرد الله به خيراً.

(١٦) المجلسي، بحار الأنوار. ج ١. ص ٢٠٤.

(١٧) أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان. ص ٨٣. (اقتباس).

التدبر في آيات خلقه[١٨].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، قال تفسير الميزان، في تفسيره هذه الاية المباركة من سورة فاطر:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، استئناف يوضح أن الإعتبار بهذه الآيات إنما يؤثر أثره ويورث الإيمان بالله حقيقة والخشية منه بتمام معنى الكلمة في العلماء دون الجُهال، وقد مرَّ[١٩] أن الإنذار إنما ينجح فيهم حيث قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[سورة فاطر: ١٨] فهذه الآية كالموضحة لمعنى تلك تبين أن الخشية حق الخشية إنما توجد في العلماء.

والمراد بالعلماء، العلماء بالله، وهم الذين يعرفون الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة تامة تطمئن بها قلوبهم وتزيل وصمة الشك والقلق عن نفوسهم، وتظهر آثارها في أعمالهم فيصدق فعلهم قولهم، والمراد بالخشية حينئذ حق الخشية ويتبعها خشوع في باطنهم و خضوع في ظاهرهم[٢٠].

ويدخل في ذلك: العلوم التي موضوعها صفات الله تعالى في كماله المطلق، من علمه اللآمتناهي وقدرته غير المحدودة، وسائر صفاته جلَّ وعلا، وتحصل تلك العلوم من النظر في آيات الأنفس والآفاق بالتأمل في عظمة خلقه تعالى.

النوع الثالث: العلوم الغيبيّة الوحيانيّة الحاصلة عن طريق الوحي الإلهي، لا عن طريق الحس ولاحتّى البرهان العقلي، وهي علومٌ مصدرها ذاته المقدسة مباشرةً، ومن هنا جاءت الحاجة إلى إرسال الرسل والأنبياءﷺ، فإن العقل وإن كان حجة الله الباطنة، لكنه لا يستطيع أن يكتشف كل حقائق الوجود، وبعبارة أُخرى: انَّ هذه

(١٨) المرجع السابق.

(١٩) في تفسير الآية ١٨ من هذه السورة في تفسير «الميزان في تفسير القرآن».

(٢٠) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن. ج؟؟ ص؟؟.

العلوم الوحيانيّة هي من فيض علم الله تعالى ينزله على قلب من اصطفاه من عباده، مشتملاً على حقائق بعضها من الغيب المحجوب عن العقول، كأخبار البعث والقيامة والحشر والحساب والجنة والنار والملأ الأعلى، وبعضها من عالم الوقائع والشرائع والنظم في هذه الحياة، كأخبار الأمم الماضية والأحكام الصحيحة في الشريعة والإجتماع والإقتصاد، كلُّ ذلك ينزل بوحي الله تعالى للرسول ﷺ ليعلمه ويبلغه الناس، وفي هذا يخاطب الله تعالى نبيَّه ﷺ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١١].

ثمَّ لا يخفى أنَّ هذه العلوم تختلف مراتبها ويتعدد تصنيفها، لأنَّ النوع الأول من المفاهيم القرآنية للعلم وهو الحكم العقلي هو في الواقع وراء كل علم مستنبط من المشاهدة والتجارب الحسيّة والنسب والعلاقات بين الأشياء والتمييز بينها وتصنيفها واستخراج قوانينها واسرارها، وذلك لأنَّ الحقائق والقوانين الطبيعية لا تنطبق بذاتها ولا تخرج إلى عالم الألفاظ وحدها، وإنّما يستخرجها الفكر الإنساني إلى عالم الصيغ والعبارات، ويقننها ويسجلها في سجل العلوم والحقائق الثابتة في ميراث الإنسانية كلها[٢١].

الثالثة: تأثير القرآن الكريم في العلوم البشرية:

هناك علاقة وترابط بين القرآن الكريم والعلوم المختلفة، فمن جهة أنَّ القرآن الكريم له تأثير مباشر أو غير مباشر في تأسيس بعض العلوم أو تنميتها، ومن جهة أخرى فقد استعمل المفسرون مكتسبات العلوم البشرية في تفسير آيات القرآن الكريم. وفي الجهة الأولى فإن للقرآن الكريم التأثير في عدة علوم، نبيِّنه في عدة محاور:

المحور الأول: العلوم التي للقرآن الكريم تأثير مباشر في وجودها.

هناك علوم كثيرة في الإسلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بالقرآن الكريم، بمعنى أنَّ موضوع تلك العلوم هو القرآن الكريم نفسه. لأنَّ القرآن بعد نزوله على

(٢١) أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان. ص ٨٤.

قلب النبي المصطفى ﷺ اقتضى أن تؤسس من أجله ولخدمته علوم كثيرة، ثم تطوَّرت تلك العلوم حتى أصبح كل جزءٍ منها علماً مستقلاً بنفسه.

يرتبط بعض هذه العلوم بألفاظ وكلمات القرآن الكريم ويرتبط بعضها الآخر بمعاني وحقائق كتاب الله العزيز.

ومن تلك العلوم: علم التجويد، بمعنى حسن تلاوة القرآن الكريم، لأنه يبحث عن ضوابط النطق بحروف القرآن الكريم وكلماته وأصول وأحكام وكيفيات التعامل مع النص القرآني.

وكذلك علم القراءات بمعنى تعدد قراءات القرآن الكريم واختلافها، وهو علمٌ قديم في القراءات السبعة أو العشرة أو الأربعة عشر أو غير ذلك، ويُبحث عن قُرّاءها، تاريخها وأدلتها[٢٢].

والعلم الآخر الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، والقرآن هو السبب في تأسيسه، هو: علم رسم الخط القرآني، وهو: علمٌ يتكلم عن قواعد الخط العربي بشكلٍ عام وضوابط خط القرآن بشكل خاص، كما يبحث عن أنواع رسم الخط القرآني من الخط الكوفي والنسخ وأمثاله[٢٣].

والعلم الآخر الذي يُصَنَّف في هذا القسم ما يُعرف بـ علوم القرآن، وهي عدة علوم ترتبط بالقرآن الكريم، بمعنى أنّها علوم حول القرآن الكريم، وهذه العلوم في بداية تأسيسها كانت مسائل لعلم واحد يُعرف بهذا الإسم، ثمَّ بمرور الزمان توسعت مباحث هذه العلوم وتطورت بحيث أصبحت عدة علوم: كعلم المحكم والمتشابه، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم الإعجاز، وعلم صيانة القرآن من التحريف، وغير ذلك من علوم تحوم حول القرآن الكريم وتجري في فلكه أوجدت لخدمته. نعم لا يخفى أنَّ علوم: التجويد والقراءات ورسم الخط القرآني هي مباحث تُعد من علوم القرآن بمعناه العام.

وهناك علوم أُخرى نشأت من خلال

(٢٢) الطباطبائي، القرآن في الإسلام. ص١٤٣.

(٢٣) الحسيني الكوهساري، تعامل قرآن وعلوم انساني (باللغة الفارسية) في ضمن «مجموعه مقالات» ص ٣٤٣-٣٤٧.

معارف القرآن الكريم، بمعنى أنّها هي معارف القرآن الكريم كلّه أو بعضه، كعلم التفسير، وعلم فقه القرآن، والقسم من علم الكلام الذي ترشد إليه نصوص القرآن الكريم، كذلك مثله ما يرتبط بقصص الأنبياءﷺ وما جرى على الأمم السابقة بالنسبة لعلم التاريخ.

ولإرتباط القرآن الكريم بالسُنَّة المطهرة ودور الأخبار المروية في تفسيره ومنهج التفسير الروائي، كانت علوم الحديث من العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم.

المحور الثاني: العلوم التي ارتبطت بفهم القرآن واسُتدل عليها بنصوص منه.

هناك علوم بشرية اُستعين بها على فهم النص القرآني كما أستشهد على محمولات موضوعاتها بالقرآن الكريم، انما يرجع تاريخ نشأتها الى عصر البعثة النبوية ونزول القرآن الكريم.

لقد تداول الصحابة والتابعون هذه العلوم في القرن الأول الهجري بصورة غير منظمة بسبب المنع الذي واجه تدوين العلم بكل فروعه، وكانت طريقة التلقي والمدارسة هي الحفظ والاخذ الشفوي، الّا مدونات قليلة جداً في الفقه والتفسير والحديث[٢٤].

وفي أوائل القرن الثاني الهجري عندما ارتفع المنع بدأ المسلمون بتدوين الحديث أولاً، ثم وضعوا المؤلفات في بقية فروع العلم واوجدوا الانظمة الخاصة للتأليف والتصنيف، فكانت نتيجة المساعي: فن الحديث، وعلم الرجال والدراية، وفن اصول الفقه، وعلم الحديث، وعلم الكلام، وغيره[٢٥].

ويمكن القول بصراحة بأن القرآن هو الدافع الأول لاشتغال المسلمين بالعلوم العقلية من طبيعية ورياضية بشكل النقل والترجمة من اللغات الأخرى في البداية، ثم استقلوا في الاشتغال بها والابتكار في موضوعاتها والتفريغ في مسائلها والتحقيق في مباحثها الهامة[٢٦].

المحور الثالث: ترشيد القرآن للعلوم الإنسانيّة:

(٢٤). الطباطبائي، القرآن في الإسلام. ص١٤٤.
(٢٥) المرجع السابق.
(٢٦). المرجع السابق.

من أهم العلوم التي لها تاثيرها المباشر في الحياة الإنسانية هي العلوم المسماة بـ «العلوم الإنسانية»، كعلم الإدارة وعلم الإقتصاد وعلم السياسة وعلم القانون وعلم الإجتماع، وهذه العلوم هي التي تُنظم الحياة لاسيما في الجانب الإجتماعي على ضوئها، وبما أنَّ القرآن الكريم هو كتاب الحياة الذي يهدي للتي هي أقوم، وبمقتضى أنّه كتاب الهداية والإرشاد نحو الأفضل، فلابد أن يكون له دورٌ أساسي في هذه العلوم، ومن أهم أدواره ترشيد هذه العلوم بمعنى توجيهها نحو المصلحة البشرية واصلاحها، والشواهد على ذلك كثيرة، ومن نماذجها:

١. تحديد شرعية النظام الحاكم: يصرح القرآن الكريم أن الحاكم ونظامه لابد أن يستمد شرعيته من الله تعالى، وأنَّ أي حاكم لم يستمد شرعيته من الله فهو طاغوت، وأنَّ حكم الحاكم إذا لم يكن بما أنزل الله فهو: كفر، وشركٌ وظلم. وينطلق هذا المبدأ بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[سورة النساء: ٥٩] وقال تعالى أيضاً ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[سورة البقرة: ١٢٤] كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [سورة هود: ١١٣] هذا المبدأ هو على خلاف مع الأنظمة السياسية الحاكمة في العالم المعاصر، حيث تعزل الشرع المقدس تماماً عن التدخل في الشأن السياسي وفي تعيين الحاكم.

٢. التأسيس للإقتصاد الخالي من الحرام واجتناب الربا: لقد اهتم القرآن الكريم بالجانب الإقتصادي من حياة الناس وذلك في ضمن مهمته الأساس وهي هداية الناس للتي هي أقوم، ومن محطات القرآن الأساسية في هذا المجال، محاربة الربا وتفنيده بأشد العبارات، حيث قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ

يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[سورة البقرة: ٢٧٥] واعتبر أنَّ المتعاملين بالربا هم في حرب مع الله تعالى قال عزَّ وجلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[سورة البقرة: ٢٧٨ -٢٧٩].

٣. الدعوة إلى ترسيخ العدالة من خلال الإقتصاد: دعا القرآن الكريم إلى أن يكون الإقتصاد وتداول الثروة عاملاً أساسيّاً لبسط العدل والإنصاف بين الناس. قال الله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[سورة الحشر: ٧] وقال تعالى في هذا المجال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[سورة المائدة: ٨] وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[سورة الحديد: ٢٥] وكذلك الترغيب والدعوة لتقوى الله والمعنوية والتذكير بدورهما في تنمية الإقتصاد ووفرة رزق الناس، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[سورة الأعراف: ٩٦] وآيات أُخرى

كثيرة تُرشد إلى الإقتصاد السليم الذي به سلامة المجتمع ووفرة الأموال المشروعة والنظيفة.

٤. التأصيل للأمن الإجتماعي من خلال بث روح التقوى: يرى الإسلام من خلال القرآن الكريم وأخبار السنة المطهرة: أنَّ بناء المجتمع الصالح يكون ببناء الأفراد الصالحين، ويتم بناء الأفراد الصالحين من خلال تربيتهم على الإيمان بالله والعمل الصالح وتقوية روح التقوى والمراقبة فيهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠١] وطائف الشيطان يتجسد بأنحاء مختلفة في حياة الناس، تارةً بصورة الإعتداء على حقوق الآخرين وغصبها، وتارة بالإعتداء على أعراض الناس وحرماتهم، وتارةً بتضييع الحق العام، تارة بغصب الحريات والظلم على الناس، وكل هذه الموبقات تهدد الأمن الإجتماعي وتجعل من الحياة البشرية جحيماً لا يمكن تحمله.

ونماذج كثيرة أُخرى في هداية القرآن الكريم لترشيد العلوم الإنسانيّة وإصلاحها، كصياغة علم الإجتماع على أساس حضور الله وحاكميته في كل شئ، من حياة الناس، وكالدعوة لبناء علم القانون على كرامة الناس وحفظ إحترامهم، وكذلك تطبيق العدالة الإجتماعية من خلال تحكيم الصالحين في ادارة المجتمع البشري، وأيضاً حفظ البيئة وحماية الطبيعة من خلال ترتبية الناس على ذلك، الرقابة العامة الإجتماعية من خلال الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترشيد حياة الأسرة وتربيتها المعنوية من بوابة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم: ٦] وخلاصة القول: إنَّ المدينة الفاضلة تتكون من خلال تطبيق تعاليم القرآن الكريم.

الرابعة: مقتضيات المقارنة بين القرآن والعلوم:

المقصود بالمقارنة هنا:

في القول بالمقارنة بين القرآن والعلم كثيرٌ من المسامحة والتنزل، لأنَّ القرآن الكريم هو مصدر العلم الحقيقي ولا يُستسقى العلم إلّا منه، ولا يُقارَن الفرع بالأصل بل يُستدل على حجية الفرع وإعتباره بالأصل، وهذا هو مقتضى كون القرآن الكريم نوراً وذكراً ومبيناً، قال الله تعالى: ﴿... قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائدة: ١٥ -١٦].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠] والنصوص الكثيرة الأُخرى من آيات وروايات تؤكد على مرجعية القرآن الكريم للعلوم ولكل ما يحتاج اليه الناس.

وقد ثبت في محله أنَّ العلم وإن كان له مفهوم عام، لكن المراد منه في خصوص مسائل هذا المبحث هو العلم التجريبي بشقيه الطبيعي والإنساني. وهذه العلوم ليست هي بمرتبة القرآن الكريم حتى تُقارَن به، بل هي مفتقرة في إعتبارها وقيمتها إلى القرآن الكريم الذي هو انعكاس علم اللهّ الذاتي. وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نخرج بهذه النتيجة وهي: إنَّ المراد بالمقارنة بين القرآن والعلم هي الحصول على شرعية للعلوم من القرآن الكريم، بمعنى إعطاء القيمة والإعتبار للعلوم البشرية استناداً الى القرآن الكريم. أضف إلى ذلك أنَّ من أهداف ومعاني المقارنة بين القرآن والعلوم هو: الإستشهاد بمكتسبات ومكتشفات العلوم البشرية على عظمة القرآن وسموّ إخباره عن مغيبات العلوم البشرية، أذْ كلما توصلت البشرية إلى علم جديد نجد عليه شاهداً من القرآن الكريم، وقد سبق كتابُ الله العزيز الناسَ إلى ما توصلوا إليه. وقد يكون هذا هو أحد معاني قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

والأمر الآخر الذي ينبغي التأكيد عليه هنا: أنَّ من أهداف المقارنة بين القرآن والعلوم البشرية هو استخدام مكتسبات العلوم البشرية على الفهم الصحيح للنص القرآني.

هذا كله من جهة، ومن جهة أُخرى فإنَّ القرآن الكريم ليس هو كتاب علم مدرسي تقليدي، فما يُتوقع من العلم الحديث لا يُتوقع من كتاب الله العزيز، إذْ أنَّ القرآن الكريم هو كتاب الهداية ومصدرها الأساس، والوصفة الأم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد، بينما مكتسبات العلم الحديث هي لتقديم خدمة الدنيا وفي عالم المادة المتدني.

وبعبارة أُخرى: إنَّ هذا الكتاب الرباني ليس كتاباً في علم التشريع (بمعنى التقنين الأرضي) والقانون، ولا كتاباً في علم التاريخ والقصص، ولا كتاباً يُعرِّف على السموات والأرض والأفلاك، وإنّما هو تعريف للإنسان بهويته وذاته، والسمّو به إلى النهوض بالوظيفة التي خُلق من أجلها. كل ما فيه من مسائل وموضوعات، إنّما يدور على هذا المحور الكلي الواحد الذي يخاطب به الناس جميعاً في كل زمانٍ ومكان: ألا وهو دعوة الناس إلى أن يكونوا عبيداً لله بسلوكهم الإختياري كما قد خُلقوا عبيداً له تعالى بواقعهم الإضطراري[٢٧].

وطريقة القرآن المُثلى لتأمين مهمته الأصلية أي مهمة التربية والهداية، هي: جذبهم إلى هذا المحور الكلي الذي تنزَّل القرآن من أجله، من خلال جميع ما يعرضه من البحوث والموضوعات المختلفة، من تشريع وقصة ووعد ووعيد، وغيرها، بحيث تكون هذه الموضوعات مُذَّكرة للقارئ بالمحور الكلي الذي مرَّ ذكره، جاذبةً إليه، لا حاجزاً يشغل عنه، ومَلهاةً تصرف فكره عنه[٢٨].

وخلاصة القول، أنَّ في القرآن الكريم إشارة إلى بعض العلوم الطبيعية والإنسانية بشكلٍ كلي وبنحو الإشارات العابرة، لا خوضاً في التفاصيل، لأنّها مهمة الإنسان في أنْ يُشغِّل فكره ويستضيئ بنور هدايته،

(٢٧) البوطي، لا يأتيه الباطل. ص ٢٧ –٢٨.
(٢٨) المرجع السابق.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [سورة الرحمن: ٣٣] والآية على قولٍ ناظرة إلى هذا المعنى، وإنْ فسّرها بعض المفسرين في خطاب اللهّ الجنَ والإنس في عالم الآخرة، حيث قيل أن المراد بالنفوذ المنفي في الآية، النفوذ العلمي في السماوات و الأرض من أقطارهما[٢٩].

ولكن كل هذه العلوم المشار إليها هي بخدمة الهدف الأساس الذي من أجله نزل القرآن الكريم. فهو عند ما يبدأ بعرض قصةٍ ما مثلاً، لا يدع الإنسان ينسى ولو في مرحلة من مراحل القصة ذلك الهدف الكلي المنشود، وهو الهداية والتربية وبناء الإنسان، ولذا نشاهد أن القرآن يمزج القصة بما ليس منها مباشرة، من نصحٍ ووعظٍ وتهديد ووعدٍ أو وعيد، تحقيقاً للغرض الذي من أجله تُساق القصة.

والقرآن عند ما يبيِّن الأحكام الفقهيّة في العبادات أو المعاملات ونحوها، يسلك أيضاً المنهج نفسه، فهو يحاذر أن يستغرق الإنسان في الإنصراف الفكري إلى هذه الأحكام، بأن تكون علماً أو فناً برأسه، كما يحصل عادةً مع من ينكبّ على دراسة الأحكام الشرعية في الكتب العلمية الخاصة بها.

وعندما يستعرض بيان السنن التاريخية، أي الضوابط الإلهية التي تتحكم في مسيرة الحياة البشرية، يستعرضها بهدف التأكيد على دورها في عبودية الإنسان وهدايته وتربيته، يقول السيد محمد باقر الصدر في هذا الشأن:

والقرآن الكريم لم ينزل كتاب اكتشاف بل كتاب هداية، القرآن الكريم لم يكن كتاباً مدرسياً، لم ينزل على رسول الله ﷺ بوصفه معلِّماً بالمعنى التقليدي من المعلم لكي يدرس مجموعة من المتخصصين والمثقفين، وانما نزل هذا الكتاب عليه ليخرج الناس من الظلمات الى النور، من ظلمات الجاهلية الى نور الهداية والاسلام. اذن فهو كتاب هداية وتغيير وليس كتاب اكتشاف، ومن هنا لا نترقب من القرآن الكريم ان يكشف لنا الحقائق والمبادئ

(٢٩) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن. هند تفسير الآية من سورة الرحمن.

العامة للعلوم الاخرى ولا نترقب من القرآن الكريم ان يتحدث لنا عن مبادئ الفيزياء أو الكيمياء أو النبات أو الحيوان، صحيح أن فى القرآن الكريم اشارات الى كل ذلك، ولكنها اشارات بالحدود التى تؤكد على البعد الالهى للقرآن، وبقدر ما يمكن أن يثبت العمق الربانى لهذا الكتاب الذى أحاط بالماضى والحاضر والمستقبل والذى استطاع أن يسبق التجربة البشرية مئات السنين فى مقام الكشف عن حقائق متفرقة فى الميادين العلمية المتفرقة. لكن هذه الاشارات القرآنية انما هى لاجل غرض عملى من هذا القبيل لا من أجل تعليم الفيزياء والكيمياء[٣٠].

وهذا يصدق على كل حقول المعرفة البشرية التي كان للقرآن الكريم تقديم أثر فيها، من قوانين إجتماعية أو سياسية أو أمنية أو غير ذلك من سائر العلوم.

وكتب الشيخ محمد مصطفى المراغي (صاحب التفسير) والمتوفى سنة ١٣٦٤هـ في مقدمته على كتاب «الإسلام والطب الحديث» للطبيب عبد العزيز إسماعيل:

لستُ أريد من هذا -ثناءه على الكتاب ومؤلفه -أن أقول: إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملةً وتفصيلاً بالأسلوب التعليمي المعروف، وإنّما أريد أن أقول: إن الكتاب الكريم أتى بأصول عامّة لكل ما يهمُّ الإنسان معرفته والعمل به ليبلغ درجة الكمال جسداً وروحاً، وترك البابَ مفتوحاً لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبنوا للناس جزئياتها بقدر ما أُتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه[٣١].

ومن هنا تتجلى حقيقة أن يكون القرآن الكريم كتاب الحياة ووصفة النجاة والدليل إلى الصراط المستقيم والحياة التي هي أقوم، قال باب مدينة علم النبي ﷺ وحامل علمه وحكمته والمبلغ عنه المولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بيان هذا الدور للقرآن الكريم:

((وَاعْلَمُوا أَنَّ هذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ

(٣٠) الصدر، المدرسة القرآنية. الدرس الثالث. ص ٤٥.

(٣١) المراغي، مقدمته على كتاب «الإسلام والطب الحديث» للطبيب: عبد العزيز اسماعيل.

الَّذِي لاَ يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لاَ يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لاَ يَكْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ: زِيَادَةٍ فِي هُدىً، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمىً. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلاَ لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنىً؛ فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَالْغَيُّ وَالضَّلاَلُ، فَاسْأَلُوا اللهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلاَ تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلاَ إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ؛ فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ[٣٢])).

(٣٢) نهج البلاغة، كلمات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بجمع الشريف الرضي. خ١٧٦.

الخامسة: التعارض البدائي بين القرآن ومكتسبات العلوم البشرية:

لا شك أنَّ القرآن الكريم كلُّه حق لا ريب فيه، هو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل العزيز الحميد، ونفي الشك والريب والباطل عنه يقتضي أنْ لا يتعارض القرآن مع حكم العقل وقطعي العلم، لأنَّ قطعي العلم هو اليقين بالمعنى الخاص[٣٣]، واليقين من مصاديق الحق كما أنَّ القرآن الكريم حقٌّ من عند الله تعالى، والحق لا يمكن أن يتعارض مع الحق، لأنَّ حقيقة الحق واحدة. وبعبارة ثانية: إنَّ تعارض القرآن مع العلم القطعي هو من تعارض الدين مع العقل، ويستحيل أن يتعارض الدين مع العقل.

ولكننا نجد في بعض الشواهد تعارضاً -في الوهلة الأولى- بين ظواهر القرآن ومكتسبات العلوم البشرية. وعندها يطرح هذا السؤال نفسه، وهو: هل نأخذ

(٣٣) الرضائي الأصفهاني، درآمدي بر تفسير علمي قرآن (بالفارسية) «مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن» ص ٣٩٢.

بظواهر القرآن الكريم فنترك مكتسبات العلم الحديث، أم نرفع أيدينا عن الأخذ بظاهر القرآن ونتمسك بمكتسبات العلم الحديث؟. وفي كلا المحاولتين محذور، فإن أخذنا بظواهر القرآن ومشينا على مايستفاد من ظواهره، فإنّا نجد التعارض بين ظواهر القرآن وبين نظريات العلم، وإنْ رفعنا أيدينا عن ظواهر القرآن الكريم وقلنا إنَّ ظواهر القرآن لا يُؤخذ بها فهذا إلغاء لمبدأ إتفق عليه العلماء والمفسرون بأن ظواهر القرآن حُجة يُؤْخذ بها.

وقد قيل بتعارض ظواهر بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الطبيعة أو عن المخلوقين مع بعض نظريات العلم الحديث. حيث لم يتوصل العلم الحديث إلى هذه الحقائق أو ينفيها. ومن الشواهد التي ذكروها على ذلك موضوع السبع سماوات والأرضين السبع، وكذلك وجود الجن، وأمور من هذا القبيل.

قال اللهُ عَزّ وجلَّ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ [سورة الملك: ٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ [سورة الصافات: ٦] وقال تعالى أيضاً: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [سورة الطلاق: ١٢] وفي الروايات الشريفة أن هناك سبع أرضين، ((**لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ**))[٣٤].

وعند الرجوع إلى نظريات علماء العلم الحديث نجدهم يقولون بعدم ثبوت وجود سبع سماوات،[٣٥] وأنّه ليس هناك إلّا هذا الفضاء الذي لاحدَّ له ولامنتهى، وهو يعجُّ بالمجرات والمجموعات الشمسية،[٣٦] فأين السبع السماوات المتطابقة وأن فيها دنيا وفيها أُخرى. فإما أن نعمل بظواهر القرآن فنعارض منطق العلم، أو نُلغي العمل بظواهر القرآن

(٣٤) الكليني، الكافي. ج ٤. ص ٢٨٤.
(٣٥) الغمراوي، القرآن في عصر العلم. ص٢٥٦.
(٣٦) الرضائي الأصفهاني، درآمدي بر تفسير علمي قرآن (بالفارسية) -مدخل للتفسير العلمي للقرآن -ص ٣٩٥.

ونقول بأن هذا الظاهر لا يعمل ولا يؤخذ به، فبذلك نعارض مبدأ اتفق عليه المفسرون من أن ظواهر القرآن حجة ويستند عليها، فما هو الحل؟.

والشاهد الآخر على ذلك: إنَّ القرآن صريح في وجود الجن والآيات حوله معروفة، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[سورة الجن: ١ -٢] ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[سورة الجن: ٦].

كما أنَّ العلماء والمفسرين صرّحوا بوجود الجن وتفاصيل ما أُخبر عنه في القرآن والسنة، من خلال النصوص من القرآنية والروائية. وقد لخَّص صاحبُ تفسير الميزان الموقف القرآني حول الجن، بما يلي:

الجن نوع من الخلق مستورون من حواسنا يصدق القرآن الكريم بوجودهم، و يذكر أنهم بنوعِهم مخلوقون قبل نوع الإنسان، و أنهم مخلوقون من النار كما أن الإنسان مخلوق من التراب قال تعالى: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [سورة الحجر: ٢٧] وأنهم يعيشون ويموتون ويبعثون كالإنسان قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾[سورة الأحقاف: ١٨] وأن فيهم ذكوراً وإناثاً يتكاثرون بالتوالد والتناسل قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [سورة الجن: ٦] وأن لهم شعوراً وإرادة، وأنهم يقدرون على حركات سريعة وأعمال شاقة كما في قصص سليمان وتسخير الجن له، وقصة ملكة سبأ. وأنهم مكلفون كالإنسان، منهم مؤمنون ومنهم كفار، ومنهم صالحون وآخرون طالحون، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ [سورة الجن: ١]. وقال: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾[سورة الجن: ١٤]و قال: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[سورة الجن: ١١] وقال تعالى:

﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾[سورة الاحقاف: ٣٠-٣١]

إلى غير ذلك من خصوصيات أحوالهم التي تشير إليها الآيات القرآنية[٣٧].

وواضح من خلال هذه الآيات والروايات الكثيرة في الباب واستفادة العلماء منها، أنَّ الجن له نحو علاقة بالبشر ونوع من الإتصال، وعندما نرجع إلى منطق العلم الحديث نراه لا يثبت وجود الجن ولا إمكانية إتصاله بالإنسان[٣٨].

ولحلِّ هذه المعظلة لابد من تقديم عدة أمور، ثم نذكر الموقف في ذلك أي الإجابة عن إشكال التعارض بين القرآن ومكتسبات العلوم البشرية:

الأمر الأول: حقيقة التعارض:

إنَّ التعارض بين الشيئين معناه التقابل والتنافي بينهما بنحو الإيجاب والسلب، بأن يدل أحدُهما على إثبات شئ والآخر على نفيه، بحيث لا يمكن إجتماع مقتضاهما كأن يكون كلٌ منهما وقف في عرض الآخر وسدَّ عليه الطريق، أمّا إذا كانا غير متنافيين بأن جاز اجتماعهما، فلا يُسمى تعارضاً ولو كانا متغايرين[٣٩]. وهذا سنستفيد منه في أخذ النتيجة بعد بيان المور الآتية.

الأمر الثاني: مراحل العلم:

ما قد يُسمى بالعلم ليس هو بمستوى واحد من القوة والمرحلية، إذْ العلم قد يُطلق -ولو بنحو التسامح -على عدة عناوين، في حين أنَّ الذي يُطلق عليه العلم بنحو التمام هو بعض هذه العناوين، وهو الذي لايصح ان يقع التعارضُ بينه وبين القرآن الكريم. وتلك العناوين المتعددة أو بالأحرى مراحل تكوّن العلم هي بالنحو التالي:

١. **مرحلة الفرض العلمي (الفرضية العلمية):** وهو رأي يحاول به الباحث تفسير ظاهرة شاهدها في مجال

(٣٧) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن. تفسير سورة الجن.

(٣٨) شاكر، الأشباح، الأرواح الشريرة، المنازل المسكونة أوهام وخرافات. http: // real -sciences. com.

(٣٩) أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. ص ٧٥.

الطبيعة، أو شاهدها في ميدان من ميادين العلم المختلفة. وكل فرض علمي قابلٌ للصحة (للصدق) كما هو قابلٌ للبطلان (الكذب) أو التعديل. وصحته أو تعديله أو بطلانه أمورٌ تظهر أثناء التجربة أو الإختبار[٤٠].

٢. **مرحلة النظرية العلمية**: والفرضية العلمية يتمُّ إختبارها وتمحيصها من أجل معرفة صدقها من كذبها (أي صحتها من بطلانها) حيث أنَّ الفرض العلمي يخضع لتجارب واختبارات متعددة، ونتائج تلك التجارب هي التي تقرر مصير الفرضية، فإذا كانت نسبة النتائج الصادقة والمؤيدة خلال التجارب على الفرضية أكثر من نتائج فشل الفرضية، بحيث غلبت النتائج الإيجابية على النتائج السلبيّة لدى الباحثين ومنهم صاحب الفرضية، تتحول وتتطور الفرضية إلى نظرية علمية. وفي هاتين المرحلتين، أي الفرضية والنظرية لا نستطيع أن نُطلق على التصور العلمي هذا بمرحلتيه، علماً.

٣. **الحقيقة العلميّة**: والمرحلة الثالثة والأساسية لتبلور العلم وإنعقاده، هي مرحلة تبدّل النظرية وتطورها إلى «الحقيقة العلميّة»، وذلك عندما تتوافر النتائج المساندة للنظرية إلى درجة تصير معها مقطوعاً بصحتها وإجتيازها مرحلتي الشك والتعديل. فترتقي إلى مستوى القطعية العلمية. وعندها تمثَّل الحقيقة العلمية أرضية صلبة ومستحكمة تقف عليها أقدام الباحثين في كل عصر وفي كل حقلٍ من حقول المعرفة البشريّة.

والحقائق العلميّة تارةً يُتوصل إليها عن طريق التجربة الحسيّة البسيطة، وتارةً يُتوصل إليها بإستخدام الآت مُعقَّدة جدّاً هي بدورها اكتشافات علمية أُخرى، وهناك حقائق علميّة تنتج من التفكير المجرد عن طريق الاستنباط العقلي والبرهان النظري للبحث[٤١].

(٤٠) أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان. ص ٨٨.

(٤١) بو حدية، أصناف المعرفة ومستويات الإيمان. ص ٣٠.

الأمر الثالث: شرائط إنعقاد الظهور القرآني:

ثبت في محلِّه حجيّةُ ظهور كتاب الله العزيز، وأنَّ ظهـــوره صغرى للكبرى التي دلَّ الدليل على حجيّتهـــا، ولكن بعض ظهورات القرآن يختلف إنعقادها عن سائر الظهـــورات، إذ للقرآن ثقافته ونمطه الخاص في التعبير وبيان الحقائق، فهو إنعكاس لعلم الله المُحيط بكل شيء، وصياغةٌ لتلك المعاني المتعاليّة في قوالب الألفاظ البشريّة، نـزل بين أُنـاس كانوا يتداولون هذه الألفاظ، ولكنهم عجزوا عـن مجـاراتـه وهـم أهـل بـلاغـة وأدب، وما ذاك إلا لأنه جاءهم بثقافة جديدة، فأوجد فيهم ثورة بيانيّة وفكريّة نقلتهم من عالمهم إلى عالم جديد، إخترع لنفسه مصطلحات وإبتدع مفاهيم لم يعهدوها، فحصْر «مصطلح أهـل البيت» مثلاً في أهـل بيت النبوة والعصمة والطهارة، في حين أنَّ العرب تستخدم المفردة لآل الشخص وأهله الأدنيين بما فيهم أزواجه، وحينما يذكر الدنيا مثلاً يُعبّر عنها بالمتاع والعمل فيها بالتجارة، كلّما جاء بذكر الحياة فيها ذكرها بالدنيا وصفاً لا ظرفاً، فـإذا أراد الباحث أن يحكم على النص القرآني ويدعي ظهوره في القضية المشتركة مع العلم الأرضي، لابد أن يكون محيطاً وعارفاً بشرائط وأرضيات إنعقاد الظهور القرآني[٤٢]. وسياتي -إن شاء الله تعالى- من خلال المباحث الآتية: أنَّ بعض ما أدُّعي من ظهورات للقرآن تخالف صريح الحقائق العلميّة، هو ليس كما تُوهِّم، إذْ أنَّ حقائق القرآن الكريم شيئ وفهم الناس من النص القرآني شيئ آخر.

الأمـر الـرابـع: ضابطة حل بدائية التعارض:

في ضـوء مـا مـرَّ مـن مبـاحـث فـإن الـتـعـارض الحقيقي يـصـدق في صـورة تضارب القرآن الحقيقي من ظهور قطعي أو نصٍ صريح والحقيقة العلميّة، وهذا ما لايمكن أن يحصـل، لأنَّ قطعي العلم هو اليقين بالمعنى الخـــاص[٤٣]، واليقين

(٤٢) الغرباوي، التفسير الفقهي بين الإمامية والحنفية. ص ١٩٦.

(٤٣) الرضائي الأصفهاني، درآمدي بر تفسير علمي قرآن (بالفارسيـــة) «مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن» ص ٣٩٢.

من مصاديق الحق كما أنَّ القرآن الكريم حقٌّ من عند الله تعالى، والحق لا يمكن أن يتعارض مع الحق، لأنَّ حقيقة الحق واحدة. وبعبارة ثانية: إنَّ تعارض القرآن مع العلم القطعي هو من تعارض الدين مع العقل، ويستحيل أن يتعارض الدين مع العقل.

إذن في موضوع المقارنة بين القرآن والعلم، لابد انْ يُعتمد من جانب العلم على الحقائق العلمية وليس على الفرضيات ولا النظريات، و من جانب القرآن لا نعتمد على كل ظاهر، وإنّما لابد أنْ يُعتمد على الآية الصريحه (الظهور المنعقد أو النص الصريح)، فلو افترضنا آية صريحةً لا تقبل التوجيه وحقيقة علمية ثابتةً، وتعارضتا حينها نستطيع القول بأن الدين تعارض مع العلم، وقلنا هذا ما يمكن أن يحصل. فالذي يطرحه أهل الشُبَه هو تعارض شكليٌ بدويٌ وصوري، وليس تعارضاً حقيقياً واقعياً. وهذا ما سنبحثه مفصلاً إن شاء الله تعالى في النقطة التالية.

السادسة: صور التعارض المفترضة والعلاج فيها:

مرَّ من خلال النقطة السابقة أنَّ التعارض البدائي والظاهري الحاصل بين القرآن الكريم (بمعنى الظهور المنعقد والنص الصريح) وبين العلم القطعي (بمعنى القطع العلمي) يُنبئ عن أحد أمرين أو كليهما، وهما: الأول: أن يكون قد حصل خطأ في مقدمات الدليل العلمي، فما يُتصور أنّه علم هو ليس بعلمٍ ثابت وقطعي. الثاني: أن يكون الخطأ حصل في إنعقاد ظهور النص القرآني، فما تُصور من معنى للآية ليس هو كما تُصور. لأنَّ التعارض الحقيقي والمستقر بين القرآن القطعي والعلم القطعي غير ممكن، إذْ هو من تعارض الشئ مع نفسه، أي تعارض الحق مع الحق[٤٤]. توضيح ذلك:

إنَّ التعارض المفترض بين مفاهيم القرآن الكريم مع مكتسبات العلوم البشرية، لا تخرج عن أحد صور:

الصورة الأولى: أن يتعارض قطعي القرآن (من ظهور منعقد أو نص صريح) مع الفرضيات أو النظريات العلميّة، وهنا يُؤخذ بالمفهوم القرآني لأنَّ

(٤٤) المرجع السابق.

العلمَ لا يُترك من أجل الظن. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة يونس: ٣٦] وفي الخبر المروي عن أئمة أهل البيت (قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ((... ولا تنقض اليقين أبداً بالشك و انّما تنقضه بيقين آخر))[٤٥]. وهذا أمرٌ بديهي من بديهات العقل وقد سارت عليه طريقة العقلاء، وعليه النصوص والآثار قرآناً وسنةً.

الصورة الثانية: أن يتعارض قطعيُ العلم، (أي الحقيقة العلمية الثابتة المتيقنَة) مع ظني القرآن، (أي الظهور الأولى البدائي غير المستقر) وفي هذه الصورة تُقدَّم الحقيقة العلمية على هذا الظاهر القرآني الأولي، لأنَّ في هذه الصورة يكون العلم القطعي (اليقين بالمعنى الأخص) قرينة صارفة عن ظهور الآية البدائي، بمعنى ضرورة أن يُفهم النص القرآني حينئذٍ في ضوء القرينة العقلية التي هي الحقيقة العلمية هنا.

الصورة الثالثة: أنْ يتعارض ظني القرآن (أي الظهور الأولى) مع ظني العلم، أي يتعارض ظاهر الآية مع الفرضيات أو النظريات العلميّة. وفي هذه الصورة لابد من تقديم ظاهر القرآن الكريم على الفرضيات والنظريات العلمية التي لم تصل إلى مرحلة الحقيقة العلمية. لأنَّ العلم البشري مُعرَضٌ للخطأ والفشل في حين أن القرآن الكريم مصدره الله سبحانه وتعالى. ولو رفعنا اليد عن الظهور القرآني من أجل الفرضيات أو النظريات العلمية لأختل نظام الدين وفقد القرآن الكريم مكانته بين المسلمين، إذ ان الفرضيات والنظريات العلمية البشرية تتكرر كل يوم وتتبدل كما يظهر بطلان بعضها. وهذا (أي تحميل الفرضيات والنظريات العلمية على القرآن الكريم)، من مصاديق الباطل الذي لا يمكن أن يأتي القرآن الكريم. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

(٤٥) الحر العاملي، وسائل الشيعه ج١ ص١٧٤-١٧٥.

[سورة النساء: ٨٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾[سورة الطارق: ١٣ -١٤].

ومن تطبيقات هذه الصورة الثالثة ما مرَّ من إشكال حول السماوات البسع والأرضين السبع بين القرآن الكريم والعلوم الحديثة، فالنظرية العلمية تقول لم يثبت وجود سبع سماوات. ومازال العلم في إطار الكشف وفي أول الطريق، وهذا لا يتنافى مع تقرير القرآن الكريم أي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴾ هذا من جهة العلم بالقياس مع القرآن الكريم.

وأمّا في قضية الأخذ بالظهور قبل انعقاده، فكلمة طباقاً: تحتمل أنها بمعنى التوازي وأنها بمعنى متطابقه في الصفات ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ ﴾ كما يقول الشخص: إني زرت المشاهد المقدسة فوجدتها متطابقة، يعني متفقه في المعالم ليس بينها تفاوت وإختلاف(٤٦).

وكذلك القول في قوله عزوجل: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ ﴾ لم يصل العلم الحديث إلى وجود سبع سماوات وسبع أرضين، لا أنه ليس هناك سبع سماوات وسبع أرضين. هذا منافٍ للموضوعية والأمانة العلمية.

وإلا فنحن نقرر بأنه نعم لو وصل البحث العلمي إلى مستوى الحقيقة العلميه، فهي تكون من القرائن على تحديد المراد الواقعي من الآيه المباركة، كما أن الحكم العقل القطعي من القرائن التي نتبعها في تحديد المراد من الآية التي وصلت إلى الحقائق، تعدّ من القرائن التي نتبعها.

وكذلك فيما قيل في قضية الجن وعدم امكان اتصالهم مع الإنسان على ضوء العلم الحديث، فان في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴾ يعوذون بمعنى يسألون، يسأل الجان ماهو شفاء هذا المريض، ورهقاً: ليس إرهاق مادياً حتى نقول نحن لم نَرَ أثراً مادياً للجن مثلا يأكل الطعام أو يشرب الماء ﴿ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴾. فالقرآن

(٤٦) الخبَّاز، القرآن والعلم، متعارضان أم متلاقيان؟. موقع الباحث على الشبكة العالمية.

لم يقل بأنه إرهاق مادي، الرهق هو ضيق نفسي، فلو كان مادياً لقال فزادوهم رهقا جسديا أو مادياً، فالذي يلجأ إلى الجن يعيش حالة تعب ورهق نفسياً، لا يمكن إعطاء قاعده عامة أن الجن ماديٌّ[٤٧].

مصادر البحث:

القرآن الكريم.

١. نهج البلاغة.

٢. أبو شهبة، محمد. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير. ط الرابعة. القاهرة. مكتبة السنة. ٢٠١٠م.

٣. أبو حجر، أحمد عمر. التفسير العلمي للقرآن في الميزان. ط الأولى. دمشق. دار قتيبة. ١٩٩١ م.

٤. الباقلاني، أبوبكر. تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل. ط الأولى. بيروت. مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.

٥. البخاري، محمد بن اسماعيل. الصحيح. ط الخامسة. الرياض. دار السلام. ١٤٢١ هـ.

٦. بو حديبة، عبد الوهاب. أصناف المعرفة ومستويات الإيمان. ط الأولى. تونس. مجلة المعرفة. ١٩٧٥ م.

٧. البوطي، محمد سعيد رمضان. لا يأتيه الباطل. ط الأولى. دمشق. دار الفكر. ٢٠١٠ م.

٨. الجرجاني، علي بن محمد (الشريف). التعريفات. (تحقيق: المنشاوي). القاهرة. دار الفضيلة. ٢٠١١.

٩. الحر العاملي، محمد بن الحسن. وسائل الشيعة. ط الأولى. قم. مؤسسة آل البيت ١٤١٢هـ.

١٠. الحسيني الكوهساري، مفيد. تعامل قرآن وعلوم انساني. (مجموعه مقالات) ط الأولى. قم.

١١. الخبَّاز، منير. القرآن والعلم، متعارضان أم متلاقيان؟. موقع الباحث على الشبكة العالمية.

١٢. الخراساني (الآخوند). محمد كاظم. كفاية الأصول. ط الأولى. قم. مؤسسة النشر. ١٤٠٥ هـ.

١٣. الرضائي الأصفهاني. محمد علي. درآمدي بر تفسير علمي قرآن. ط الأولى. طهران. منظمة الأوقاف.

(٤٧). المرجع السابق.

١٤٢٦.

١٤. شاكر، حسين. الأشباح، الأرواح الشريرة، المنازل المسكونة أوهام وخرافات. http: / / real -sciences. com.

١٥. الطباطبائي، محمد حسين. القرآن في الإسلام. ط الأولى. (تعريب: الحسيني). قم. مؤسسة النشر الإسلامي.

١٦. الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط الأولى. قم. منشورات جماعة المدرسين. ١٤١٥هـ.

١٧. الغرباوي، طاهر. التفسير الفقهي بين الإمامية والحنفية. ط الأولى. قم. دار المبلغين. ١٤٣٩ هـ.

١٨. الغمراوي، محمد. القرآن في عصر العلم. ط الأولى. عمان. دار عمار. ٢٠١٤ م.

١٩. الكليني، محمد بن يعقوب. الكافي. ط الثانية. قم. دار الحديث. ١٤٢٩هـ.

٢٠. المجلسي. محمد باقر. بحار الأنوار. طهران. دار الكتب الإسلامية. ١٤٠٥ هـ.

٢١. مصباح اليزدي، محمد تقي. تعليم الفلسفة. (ترجمة: الخاقاني). ط الأولى. بيروت. دار التعارف للمطبوعات. ١٩٩٠ م.

٢٢. المظفر، محمد رضا. أصول الفقه. ط الأولى. قم. نشر دانش اسلامي. ١٤٥٠٥ هـ.